

جامعة الموصل

كلية الآداب

القسم: التاريخ



عنوان المحاضرة: خلافة مروان بن الحكم وابنه
عبد الملك بن مروان

المادة الدراسية: تاريخ الخلافة الراشدة والدولة
الاموية

المرحلة الدراسية:

مدرس المادة: أ.م.د. عدنان شعبان المشهداني

خلافة مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥ هـ) :

حالما انتخب مروان بن الحكم للخلافة سار بالجموع المؤيدة له نحو مرج راهط لمقاتلة الضحاك بن قيس الفهري ، فسار مروان بالجموع اليمانية من قبائل عدة هي (كلب ، غسان ، سكاسك ، السكون ، وحمير ، وقضاعة) وغيرها من القبائل اليمانية الاخرى ، ونزلوا مرج راهط وهو سهل يقع شرقي دمشق .

وكان على ميمنته عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بـ (الاشدق) وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وقاد مروان بن الحكم القلب يدعمه ابنه عبد الملك بن مروان .

وهناك التقى بالضحاك بن قيس الفهري الذي سبق مروان بن الحكم الى ذلك المكان وكان مع الضحاك قوات ضخمة اختلف في تعدادها منهم من يذكر ستين ألف مقاتل ومنهم من يذكر ثلاثين ألف .

وكان استيلاء بعض اليمانيين المؤيدين لمروان بن الحكم على دمشق قد ساعد مروان وحلفاءه كثيراً حيث امدوهم بالمال والسلاح فكان هذا اول الفتح كما يقول ابن الاثير .

وقد تقابل الفريقين بعنف وقسوة على الرغم من قلة قوات مروان بن الحكم مقارنة بقوات الضحاك بن قيس حيث دامت عشرين يوماً ، قتل خلالها الضحاك بن قيس وتعرضت قبائل قيس " العدنانية " الى مقتله عظيمة حيث لم يقتل مثلهم قط عرفت هذه المعركة بـ مرج راهط أو بالمرج فقط وكانت في شهر المحرم من سنة ٦٥ هجرية ودخل مروان بن الحكم دمشق منتصراً فبايعه اهله واستوثق له الامر في الشام .

وقد قتل النعمان بن بشير الانصاري عامل ابن الزبير على حمص واسترد الامويين المدينة ، وهرب زفر بن الحارث الكلابي من قنسرين كما هرب نائل بن قيس من فلسطين ، وهكذا اصبح مروان بن الحكم سيد اهل الشام بعد ان انتصر على عمال ابن الزبير وطردهم من الشام فاعاد مروان ملك بني امية من جديد بعد ان تهاوى بعد موت معاوية بن يزيد وقد كان زال عنهم الى بني اسد بن عبد العزى ، وبذلك استوثق الشام لمروان واخذ يعين عليه عماله .

ولم يكتف مروان بهذا الانتصار الكبير الذي حققه على انصار ابن الزبير في الشام بل تابع نشاطه بعد هذه الموقعة فجرد جيشاً تولى هو قيادته بنفسه واتجه به الى مصر لطرد عبد الرحمن بن جحدم عامل ابن الزبير عنها وسار ابنه عبد العزيز في جيش الى ايلة عند العقبة وحاول عبد الرحمن بن جحدم ان يتصدى لمروان وابنه فجرد الجيوش نحوهما لكن الهزيمة حلت بجيوشه ودخل مروان بن الحكم عين شمس ثم الفسطاط في اول شهر جمادي الاول من سنة ٦٥ هجرية وبايعه الناس الا نفراً قليلاً ظلوا على تمسكهم ببيعة ابن الزبير فضرب اعناقهم وهكذا دانت مصر لمروان بن الحكم ثم رجع الى الشام بعد ان عين ابنه عبد العزيز والياً على مصر .

وعند عودته الى الشام علم بخبر ارسال ابن الزبير جيشاً بقيادة اخيه مصعب بن الزبير الى فلسطين ليحافظ على نفوذه فيها ، فوجه اليه مروان بن الحكم جيشاً بقيادة عمرو بن سعيد بن العاص تمكن من الحاق الهزيمة بجيش مصعب وردة على اعقابيه ، وهكذا توطد ملك بني امية في الشام ومصر من جديد وعجز ابن الزبير فيما بعد عن استرداده حتى النهاية .

وفاة مروان بن الحكم :

لم تطل مدة خلافة مروان بن الحكم حيث توفي في رمضان من سنة ٦٥ هجرية بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت مدة حكمه تسعة اشهر وثمانية عشر يوماً ودفن بين باب الجابية وباب الصفيير .

وكان قد عهد من بعده لتولي الخلافة الى ابنه عبد الملك ومن بعده الى اخيه عبد العزيز ، وبذلك يكون مروان قد نقض تعهده التي قطعها لبني امية ولبني كلب بان تكون الخلافة من بعده لعمرو بن سعيد (الاشدق) ومن بعده لخالد بن يزيد بن معاوية .

خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) :

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب .

ولد سنة ٢٦ هجرية بالمدينة المنورة وكانت امه هي عائشة بنت معاوية بن الوليد بن المغيرة بن ابي العاص بن امية ، كان شاباً عاقلاً حازماً اديباً لبيباً ، وكان يعد من فقهاء المدينة الاربعة وكان يقرب سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير .

وكان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد حتى كان يطلق عليه لقب ((حمامة المسجد)) ، قال الشعبي عنه ما ذاكرت احداً الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثاً الا فادني فيه ولا شعراً الا زادني فيه .

تولى الخلافة بعهد من ابيه وكان حال البلاد الاسلامية على غاية من الاضطراب والفوضى ففي الحجاز كان عبد الله بن الزبير وقد بايعه الناس هناك بالخلافة .

اما العراق فان اهله منقسم الى ثلاث فرق فرقة هواها مع ابن الزبير وقد بايعوا له ودخلوا في طاعته ، وفرقة اخرى تدعو الى آل البيت وتفضل حصر الخلافة في اولاد علي وهم ما عرفوا فيما بعد بشيعة علي عليه السلام ، وفرقة اخرى لا تباعع علي ولا الزبير ولا بني امية وهؤلاء هم الخوارج .

وكان مروان قبل وفاته قد جهز جيشاً يقوده عبيد الله بن زياد الى الجزيرة لمحاربة زفر بن الحارث بقرقيساء واستعمله على كل ما يفتحه فاذا فرغ من الجزيرة سار الى العواق واخذه من ابن الزبير ، ولما كان بالجزيرة بلغه موت مروان بن الحكم وتولي ابنه عبد الملك

بن مروان الخلافة من بعده وقد امره هذا الاخير بما امره به والده ، فصار حتى اذا كان بعين
الورد قابله جنود مقبلة من العراق لم يبعثهم امير ولكنهم خرجوا للمطالبة بدم الحسين بن
علي ولم يروا انهم يخرجون من هذا الذنب الا اذا قاموا بالمطالبة بثأره وقتلوا قتلته وكان
رئيسهم كبير الشيعة بالكوفة سليمان بن صرد الخزاعي فمازلوا يجمعون الة الحرب ويدعون
الناس سرأ الى ما عرفوا عليه حتى تم لهم ما ارادوا سنة ٦٥ هجرية فخرجوا حتى اذا كانوا
في عين الورد قابلتهم جنود اهل الشام فدارت بين الفريقين معركة رهيبة قتل فيها سليمان بن
صرد الخزاعي رئيس الشيعة ومعظم من كان معه ونجا قليل منهم وكانوا نحو من ستة الاف
حيث وصلتهم الامدادات من قبل عبد الملك بن مروان فاقتتلوا لمدة ثلاثة ايام .

وعين الورد : موقع يقع بين الرقة وقرقيساء في الجزيرة الفراتية على الطريق بين
الشام والعراق .

بعد ان قضى عبيد الله بن زياد على حركة التوابين ظهر في العراق رجل فتنة اخر
وهو المختار بن عبيد الثقفي .

نبذة مختصرة عن المختار الثقفي :

يعد المختار الثقفي من الشخصيات المهمة والبارزة التي عاصرت خلافة عبد الله بن
الزبير وخلافة عبد الملك بن مروان حيث تركت بصماتها على مجرى الاحداث التي واجهت
كلا الخليفين ، فلا بد لنا من التطرق اليها بشكل موجز وذلك بسبب تشابك الاحداث التي
زامنت ظهورها هاتين الشخصيتين .

ولد المختار بن عبيد الثقفي في الطائف في السنة الاولى للهجرة ، ثم انتقل مع ابيه
الى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وشارك مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه في احداث
معركة الجمل ، وبعد مقتل علي رضي الله عنه سكن المختار البصرة ، وقد عرف المختار بالانتهازية
والتذبذب في الولاء فتارة يعلن فيه حبه وولاءه لبني هاشم وتارة يظهر خلاف ذلك تماماً ،
وكان أول ذكر للمختار عام ٤٠ هجرية عندما اضطرب معسكر الحسن رضي الله عنه قبل نشوب القتال
مع معاوية وتخلي جند الحسن رضي الله عنه عنه وكان عم المختار سعد بن مسعود عاملاً على المدائن
فجاء المختار اليه وقال له : ((هل لك في الغنى والشرف ؟ قال وماذا لي فقال له المختار :
توثق الحسن وتستأمن به الى معاوية ، فقال له عمه : بئس الرجل انت أثب على ابن بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم واوثقه عليك لعنة الله)) .

وفي خلافة يزيد اودع السجن حيث حبسه ابن زياد بتهمة انه دخل الكوفة لنصرة مسلم بن عقيل ، ثم اطلق زياد سراجه بأمر من يزيد بن معاوية بعد ان توسط في اخراجه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وذلك لان عبد الله كان متزوجاً أخت المختار الثقفي وحذره عبيد الله بن زياد من البقاء في الكوفة وامهله ثلاثة ايام ، فاتجه المختار الى مكة واتصل بابن الزبير ، واتفق معه وايده بعدة شروط منها :

١ - ان لا يقضين ابن الزبير امراً دون مشورة المختار .

٢ - وان يكون المختار اول من يأذن له في الدخول .

٣ - واذا ظهر امر ابن الزبير استعان به على افضل الاعمال .

وقد فرح ابن الزبير كثيراً بقدوم المختار اليه حيث كان يقول ما أبالي اذا قاتل معي المختار من لقيت فاني لم أرَ اشجع منه قط . *و في قول امر ابن الزبير من خلفه عن بعد ما هو* وعندما قدم الحصين بن نمير لقتال ابن الزبير ابلى المختار بلاءاً حسناً في قتاله *بين المختار*

والتصدي له ، وظل المختار الى جانب ابن الزبير حتى انسحب الحصين بن نمير الى الشام ، وبايعت الامة ومنها العراق ابن الزبير حتى صار رجل العرب يومئذ ، ولم يستخدم ابن الزبير المختار على أي ولاية من الولايات التي ايدها وهذا مناقض للاتفاق الذي ابرمه المختار مع ابن الزبير ، مما اثار حفيظة المختار وايقن انه لا فائدة من بقاءه في مكة . فعاد المختار الى الكوفة مقتنعاً بنفسه معتمداً على قابلياته ولكن سرعان ما زج بالسجن من قبل والي الكوفة الجديد المعين من قبل ابن الزبير ، وذلك لان واليها اساء به الظن بفعل نشاطه المعادي لابن الزبير .

وفي تلك الاثناء خرج سليمان بن صرد الخزاعي على رأس قوة من اهل الكوفة اطلقوا على انفسهم اسم التوابين للتأثر من قتله الحسين وفي الطريق التقوا بجيش اتياً من الشام يقوده عبيد ^{الله} بن زياد والحصين بن نمير فقتل سليمان بن صرد الخزاعي واغلب اصحابه بعد ان وصلت الامدادات لهم من قبل عبد الملك بن مروان .

ورجع سائر الناجين من جيش التوابين الى الكوفة فوجدوا المختار محبوساً فاخرجوه من سجنه بعد ان توسط في اخراجه اشراف الكوفة وعبد الله بن عمر ^{رضي الله عنه} للمرة الثانية ، اما عن سبب اخراج المختار من قبل التوابين واشراف الكوفة يرجع الى ان المختار كان يحبط الناس عن نصرة سليمان بن صرد الخزاعي ويقول لهم : انه ليس بقائد كفوء لكم انه يريد ان يقتلكم ويقتل نفسه .

كما انه ادعى انه مبعوث محمد بن الحنفية ^{رضي الله عنه} اليهم على الرغم من انه فشل في الحصول على تأييد علي بن الحسين بن علي ^{رضي الله عنه} فاتصل بمحمد بن الحنفية ^{رضي الله عنه} وحصل منه

على جواب غير واضح اوله المختار على انه موافقة من قبله واستغل اسمهم لتحقيق اغراضه الخاصة .

فخرج المختار من السجن والتف حوله كل المعادين لبني امية وذهب بعضهم الى محمد بن الحنفية عليه السلام ليتأكدوا من صحة اقوال المختار فسأله فقال : ((ما أحب اليك من طلب بئارنا واخذ لنا بحقنا وقتل عدونا)) ، فانصرفوا الى المختار فبايعوه وعاقده . فأتسع نفوذه خاصة بعد انضمام ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي اليه ، كما نجح المختار في كسب ود الموالي الى جانبه وسرعان ما كثر اصحابه في الكوفة وضواحيها ، فاستطاع عام ٦٦ هجرية من ان يخرج والي الكوفة عبد الله بن مطيع العدوي المعين من قبل ابن الزبير ، وكتب المختار الى ابن الزبير اني اتخذت الكوفة داراً فان سوغتني ذلك وامرت لي بالف درهم سرت الى الشام وكفيتك امره ، فقال ابن الزبير الى متى امارك كذاب تقيف وبماكرني ، وكتب اليه لا والله ولا درهم .

فجاهره عندئذ المختار بالعداوة بعد ان قويت شوكته وكثر انصاره وبهذا يكون اغلب العراق قد خرج من سلطة ابن الزبير حيث لم يبق بيده الا البصرة ، بعد ان اخضع المختار اغلب المدن لصالحه حيث اخذ المختار يرسل الولاة الى ارمينيا واذربيجان والموصل واقليم الجبال (شمال طهران) ليحكموا بأسمه ، بعد ان نجح في استقطاب الشيعة الى جانبه حيث قام بقتل قتلة الحسين الواحد تلو الاخر وعلى راسهم شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين ، كمل قتل عمر بن سعد بن ابي وقاص ، بينما قتل قائده ابراهيم بن مالك (الاشتر) عبيد الله بن زياد في معركة الخازر قرب الموصل .

بقي المختار مسيطراً على الكوفة وبعض المناطق الاخرى من العراق حتى قدوم مصعب بن الزبير وقضى عليه بعد ان بذل جهوداً كبيرة في قتال المختار حيث خاض معه سلسلة من المعارك اشهرها معركة المذار والتي حدثت عام ٦٧ هجرية حيث تمكن مصعب في هذه المعركة من قتل ابرز قادة المختار مثل احمر بن شमित وعبد الله بن كامل الشاكري . اما المعركة الثانية فقد تمكن مصعب بن الزبير من قتل المختار نفسه بعد ان حصره واتباعه في قصر الامارة واستسلم معظم اتباعه لمصعب بن الزبير فقتلهم وكان عددهم ناهز الستة الاف مقاتل ، وكان ذلك عام ٦٧ هجرية ، وبذلك فقد خلا الجو لمصعب بن الزبير في ادارة حكم العراق بعد ان قضى على حركة المختار الذي طالما ازعج ابن الزبير وسبب له العديد من المتاعب .